

النشاط الثقافي في الوطن العربي "الأدب"

ج.ع.م

ولكن فلننتقل الى العدد الثاني من المجلة (يونية ٦٨) فنسراه يحمل نديلا على ظهر غلافها الخلفي يقول : « ما تنشره « مجلة ٦٨ » لا يعبر بالضرورة عن رأي هيئة تحريرها والمجلة لا تصدر عن جماعة مغلقة على ذاتها ، ولا تقتصر على كتاب بعينهم . بل تفتح صدرها فسي ترحيب كامل وحقيقي لكل تجربة طليعية او جديدة ، بكل نتاج للكتاب الجدد الذين يرتادون طريقا صعبا الارتياح . لا تشترط في ذلك كله « وجهة نظر » ما ، او « موقفا » بالذات ، او « مدرسة فنية او فكرية » محددة ، ما دامت فيه اصالة وتعبير عن مناخ الكتابة الجديدة فسي وطننا ، ما دام ملتصقا بنض الفكر والحس عند مثقفي وكتاب بلدنا ، وما دام متبثقا عن تبع الابداع الذي نؤمن انه لا يقضى ابدا في هذا الوطن » .

ونحن نعتقد ان هذا كلام نصفه الاول مانع شديد الميوعة ، ونصفه الاخير ينم عن نية طيبة وان كان غامضا شديد الغموض . ونحن نعرف ان محاسبة جماعة من الناس على ما يحملونه من شعارات ستكون محاسبة واهية السند ضعيفة الحجج ، اذ لا بد وان يحاسب الناس على مواقفهم واعمالهم اولا وتأتي الشعارات في مرتبة تالية . ولكننا ازاء جماعة نعلم انها ليست جماعة مغلقة على ذاتها ، علاوة على ما تنسم عليه مواد العديدين اللذين صدروا عن المجلة عن « موضوعية » الاختيار من جانب ، ومن افتقاد فعلى لتيار موحد او متقارب يلم شتات كتابها من جانب آخر .

هناك من بين هؤلاء الكتاب من لا يزالون يخونون في بداية الطريق لم يقدموا من انتاجهم ما يسمح بالحكم له او عليه حكما نهائيا او ما يسمح بان تتحول كتاباتهم الى قيمة ثابتة او ان يتحولوا هم الى قيم ثابتة يمكن محاسبتهم بناء على تاريخ كامل لاحدهم . وهناك من بين هؤلاء الكتاب من سبقوا بتجربتهم ومساهماتهم فسي خلق « تيارات » سابقة تحقق لها الكثير من التحديد والتماكك . هناك على سبيل المثال الشاعر عبد الوهاب البياتي الذي كان رائدا من رواد الواقعية الاشتراكية ، والذي ما يزال يضرب في ابعاد عوالم الفن الشاسعة في جراحة واصالة كبيرتين . جراحة تدفعه اليها روحه الطموح وقلقه العظيم وانسانيته الشائكة . واصالة تكفلها تجربة عريضة وعميقة وجياشة خاضها البياتي في غير وجل عبر اكثر من مرحلة تاريخية وفي اكثر من بلد ، بقدر ما يكفلها له موقف تاريخي محدد وانتماء واضح ونضالية شجاعة وخصوبة فنية وفكرية يتحول بهما الشاعر الفرد الى سمة مميزة من سمات عصره وقيمة فنية ثابتة من قيمه وشاهد على ذلك العصر وضحية له في وقت واحد .

ورغم ما يملكه البياتي من تجربة تتحول باستمرار الى قيمة ثابتة - وليس من حقنا ان نقول تحولت - الا ان جراته واصالته ، هما ما يمنحانه الحق والقدرة على الوقوف الى جوار الجديد من الثقافة والفكر في بلادنا دائما . الا ان هذه الظاهرة نفسها هي ما تؤدي بنا الى التساؤل عن مدى ما يتمتع به هذا الجيل الجديد من كتاب « مجلة ٦٨ » الذين لا يملكون ما يملكه البياتي من تراث شخصي وتجربة سابقة منضجة وانتماء منظور وواع وثابت الى تيار على قدر كبير من التحدد ، اقول اننا نتساءل عن مدى ما يتمتع به هؤلاء الكتاب من وحدة فكرية تتيح لهم ان يشكلوا في النهاية تيارا ، لا وجهة نظر ولا موقفا ولا مدرسة .

ربما وجدنا الاجابة على تساؤلنا في العدد الاول من المجلة فسي تأملات حسن سليمان التي جاءت دونما عنوان غير اربع نقاط سوداء محصورة بين قوسين !! وحسن سليمان نفسه فنان تشكيلي موهوب الا ان تأملاته لا توحى بانه وثيق الصلة بمسألة التفكير التأملي المنظم التي

من : سامي خشبة (مجلة ٦٨) او جيل اليوم ومهام المستقبل

ما هو الهدف من اصدار مجلة ادبية جديدة في مدينة مثل مدينة القاهرة ؟ ليس هذا سؤالا مجردا اطلقه بهدف التأمل ، ولا بهدف ان احصل على مبررات اصدار مجلة ، وانما هو سؤال وجدته ضروريا بعد ان قرأت العدد الاول من « مجلة ٦٨ » التي اصدرها في القاهرة مجموعة من المثقفين الشبان .

ما الذي يهدف اليه هؤلاء الشبان من اصدار مجلتهم التي تحمل اسم العام الذي نحن فيه ، كما نريد ان نقول انها المجلة التي تنطق بصوت آخر لعظات عصرنا ؟

ليس من الممكن ان نحصل على جواب اسئلتنا من اسم المجلة وحده ، فلننظر ما قاله رئيس تحريرها الاستاذ احمد مرسي في تصدير عددها الاول ، يقول : « يعيش الوطن العربي في هذه الايام تجربة مغاض عظيمة واليمة . ذلك لان النكسة العسكرية التي حلت بامننا لم تكن نهاية في حد ذاتها بل كانت الثمن الفادح للوقوف على الحقيقة عارية . وهذه الحقيقة هي الارض الصلدة التي نقف عليها باقدامنا اليوم في انتظار لحظة الميلاد الجديدة . وبصدور العدد الاول من « مجلة ٦٨ » في ظل الاحداث التاريخية والمصرية التي تشهدها البلاد ، لا يسع المجلة الا ان تقطع على نفسها عهدا بان يكون لها شرف وضع لبنة متواضعة في صرح الوطن الاشتراكي الديموقراطي الحر الجديد . وعلى الرغم من ان « مجلة ٦٨ » ليست مجلة سياسية ، فهي تؤمن بانها لو نجحت في الكشف عن حقيقة ما يختلج في جوانح الكتاب والشعراء والفنانين من ابناء جيل اليوم تكون قد اوفت بالمهد الذي قطعته على نفسها بالمشاركة في معركة التحرير والبناء ... » .

رئيس التحرير يقول اذن ان المجلة تريد ان تشارك بلبنة متواضعة في معركة تحرير بلادنا وبنائها بعد النكسة ، وان طريقها الى ذلك هو ان تكشف عن حقيقة ما يختلج في جوانح الكتاب والشعراء والفنانين من ابناء جيل اليوم . ولكننا نقول ان الحق هو ان العدد الاول لم يعبر الا عن جماعة واحدة من جماعات هذا الجيل الكثيرة والمتباينة والمتشعبة ، فلم يكن هذا العدد تعبيراً عادلا عن الكتاب والشعراء والفنانين من ابناء هذا الجيل . والحق ايضا ان كلمات من « جيل اليوم » والرغبة في « وضع لبنة متواضعة في صرح الوطن الاشتراكي الديموقراطي الحر » انما ينتميان الى ذلك النوع من الكلمات الفضفاضة التي تطالب دائما بالتحدد الحسي من خلال « المواقف العملية » . ونحن نعرف ان المواقف العملية بالنسبة للكتاب هي كتاباتهم . ونحن نعرف ان الكتابات التي يمكن ان تكون مواقف عملية تصل دلالتها الى درجة من الشمول تسمح لصاحبها بان يخرجها الى الناس ، وتتيح الفرصة للناس لكي يجدوا فيها ما يتقاسمون او يشتركون فيه ، هذه الكتابات لا يمكن ان تكون ثمرة مجرد الرغبة في التجديد ، او مجرد الطموح الى اساليب جديدة للتعبير ، كما انها لا يمكن ان تكون ثمرة مجرد قراءة الكتب او الاحساس بالفضب او الاختناق ... في ظننا ان مثل تلك الكتابات لا بد لها من هذا كله ، ولكنها ايضا تحتاج الى سندها من « تجربة » الكتاب مع الواقع نفسه ، تجربة عاشها ويعيشها بيده وعقله ووجدانه جميعا ، تجربة تجعله على علاقة جدلية مع هذا الواقع ينفلج به ويفعل فيه حتى تتحقق لهذا الكاتب فعاليته ، وحتى تصبح كلماته موقفا من هذا الواقع يستحق ان يخرجها الى الناس .

حاول أن « يفعلها » في تأملاته تلك . ولكننا قد نجد في تأملاته فكرة صادقة هنا أو هناك . فرغم كل توهانه القصير المدى بين أهم مشاكل الفلسفة المعاصرة تقريبا مشاكل الحرية والالتزام والاعتدال والتشابه وعلاقة السلطة بالفرد وعلاقة الالتزام الجماعي بالمبادرة الفردية ، هذا التوهان الذي لم يستغرق أكثر من سبعمين سطرا تضمنت الكثير من التناقضات والتصورات الوهمية عن أفكار « عميقة » ، ورغم كل هذا فالاجابة التي ننشدها عند حسن سليمان هي تصوره الصادق عن نبوع التيار الفكري الواحد أو المتقارب لدى الجيل الواحد من خلال وحدة تجربة هذا الجيل الانسانية . ونحن نفهم وحدة التجربة على أنها وحدة معاناة أو وحدة مصادر هذه المعاناة اذا شئنا ان نحافظ حتى فسي المحصلة النهائية على تفرد كل واحد من أبناء هذا الجيل . ولعل هذه المحافظة على ذلك التفرد هي التي افلتت من حسن سليمان في النهاية حين رأى ان التيار الفكري الواحد يعني مدرسة فنية واحدة تجمع الجيل كله . انه إذ يبدأ بالدفاع عن الفردية الحرة والشجاعة التي تمي ذاتها في اطار مصالح الجماعة ومطالبها واحتياجاتها ، فانه ينتهي الى التنزيه المتفائل السعيد بذويان هذه الفرديات في مدرسة فنية واحدة متصورا ان هذا الذويان يمكن ان يأتي نتيجة للتطوع الشخصي من جانب كل فنان فرد . ولذلك فان هذا الجيل المستمر على مساهمة الإبداع والمبادرة الفردية ، وعلى قبوله الافكار وحصرها وتقييدها بأغلال النظريات الفلسفية أو المدارس الفنية ، هذا الجيل نفسه يتضح انه لا يخلو أحيانا من بذور تعنت فكري أو رغبة في تسوية نفسه في النهاية واعتبار نفسه الحقيقية الاخيرة أو الوحيدة في سلسلة طويلة من المحاولات السابقة الفاشرة عن بلوغها . وربما كانت هذه البذور انارة مترسبة خفية من كتب قديمة كانوا قد قراوها قبل ان يقرروا اعلان التمرد ورفض القيود ، مهما وضعوا من كلمة « تطوع » بدلا من كلمة « تبئنه » او « تجنيد » ، او كلمة « التزام » بدلا من « الزام » . وبذلك ايضا نصل الى النقطة التي تسمح لنا بتوضيح ملاحظتنا عن استخدام عبارات مثل : جيل اليوم ، ووضع اللبنة في صرح الوطن ، وما قصدناه بالكلمات الفضفاضة والتعدد الحسي واليوعة .

اننا نعتقد انه لم يوجد جيل لم يكن هو جيل اليوم بقدر ما لم يظهر جيل لم يصبح هو جيل الامس . والحقيقة ان الحديث عن الاجيال يمكن ان يكون حديثا بعيدا عن التحديد اذا هو لم يرتبط بمفاهيم واضحة عن التطور الاجتماعي والفكري الذي حققته تلك الاجيال . وبدويها اننا لا نقصد بكلمة جيل اليوم ، ولا نظن ان احمد مرسى او ايا من هيئة تحرير المجلة ، يقصدون بها - فقط - اولئك الشبان الذين تتراوح اعمارهم بين العشرين والثلاثين - وعدنا للاصدقاء من هيئة التحرير او من الكتاب اذا قررت هنا انني اعرف ان عددا منهم قد تجاوز بالفعل سن الثلاثين . وعلى ذلك فاننا نقصد بتلك الكلمة الجيل الذي ما يزال يستطيع ان يمارس تجربة الحياة الواقعية في بلدنا بكل ما تجيش به ، وان يعكس تلك التجربة بصدق في انتاجه ، ايا كان « عمر » من يستطيع هذه الممارسة . ولكن الحديث عن الصداق انما يتطلب الحديث ايضا عن التجربة الفردية التي لا تتمتع بأية دلالة اجتماعية ، ثم عن التجربة الفردية التي تتمتع بمثل هذه الدلالة . كذلك فان الحديث عن الصداق انما يتطلب الوقوف عن اتجاه هذا الصداق ونوعه بقدر ما يتطلب الوقوف عن قيمة هذا الصداق وهي القيمة التي لا تتحدد الا من خلال قيمة التجربة ذاتها . واذا كان باستطاعة هيئة تحرير المجلة ان يقولوا انهم لا يشترطون وجهة نظر ما ، او موقفا او مدرسة فكرية او فنية ينتهي اليها او يتناها الانتاج الذي قد ينشرونه في المجلة ، فلسنا نعتقد ان هيئة التحرير او افرادها لا يتبنون هم كافر أو وجهات نظر « ما » ولا مواقف ، او انهم لا يمكن اعتبارهم متممين الى اتجاهات او مدارس فكرية وفنية . ولكنهم فسي الوقت نفسه ليسوا في الوضع الذي يسمح لهم باتخاذ موقف التقييم العلني من وجهات نظر الآخرين او مواقفهم او مدارسهم الفكرية او انهم

على الاقل يتحاشون ان يكون هذا التقييم وظيفة من وظائف المجلة ، فهم من جانب ، كتاب ومفكرين وفنانين مهما كان من حداتهم يعملون وجهات نظر خاصة بهم ، وهم من جانب آخر يرفضون الدخول في صراع مكشوف مع وجهات النظر « الكبيرة » الاخرى ، الثابتة القديمة ، وقد يكون لهذا الموقف القريب دافع من دافعين : اولهما انه هم يفضلون الارتباطات الشخصية على الارتباطات الفكرية ، وقد يفسر هذا الدافع نشر قصتين في العدد الاول لكتاب اسمه « ابراهيم عبد العاطي » ، احدهما وهي قصة « كل الشخصيات تخيلية » قصة رديئة فصلا ولا تتمتع بقيمة ما سوى قيمة غرابيتها وشذوذ تركيبها ، اما قيمتها الاخرى فهي ان « ابراهيم عبد العاطي » احد اعضاء « سكرتارية تحرير » المجلة . ولعل هذا الدافع نفسه هو ما جعل المجلة فسي عددها الثاني تنشر خمس قصائد دفعة واحدة لرئيس تحريرها الذي لا تعرف له اثرا شعريا بارزا ، وهو الذي تجاوز الثلاثين من عمره بالتأكيد ، وهو الذي يكتب الشعر كما يقرر بنفسه في تواريخ قصائده منذ سنة ١٩٥١ . ولعل هذا الدافع ايضا هو ما جعل المجلة تنشر في العدد الاول كلاما للصدوق خليل سليمان كلفت تحت عنوان « عين سين - شعر » لم اجد احدا في القاهرة يستطيع ان يشرحه لي ، ربما لقله ذكائي ، وربما لانعدام من يفهمون في مسألة « الشعر » في القاهرة . ونحن لا نعتقد ان احمد مرسى يختلف كثيرا عن الشعراء الكثر الذين نشروا اشعارهم منذ ١٩٥١ حتى الان دون ان يتروكوا في عالمنا الشعري انرا عميقا فصمتوا او ظلوا يكتبون الشعر دون ان يحس بهم احد . كذلك لا نعتقد ان ابراهيم عبد العاطي كواحد من ابناء جيل اليوم يفضل ايا واحد آخر من ابناء هذا الجيل من كتاب القصة القصيرة ، بالمفهوم الاجتماعي التاريخي أو بالمفهوم الزمني المباشر . ولا نعتقد ان لكلام خليل كلفت قيمة فنية على الاطلاق ، ولا نعتقد ان هذا الكلام فيه شبهة من اصالة الا اذا كانت الاصلالة هي الاغراب والتعمل والمعاظلة . ولا نعتقد ان فيه تعبيرا عن مناخ الكتابة في وطننا ولا نظنه ملتصقا بنض الفکر والحس عند مثقفي وكتاب بلدنا . علاوة على انه بالقطع ليس منبثقا عن أي نوع من يتابع الإبداع الذي نشاركه هيئة تحرير المجلة في الايمان بأنه لا يفيض ابدا في هذا الوطن .

الدافع الثاني الذي نظنه لذلك الموقف الذي ذكرناه ، هو حرص هيئة تحرير المجلة على « الموضوعية » او « الحياد الفكري » . وما هذا لا بد لنا من التوقف عند شعار الالتصاق بنض الفكر والحس عند مثقفي وكتاب بلدنا الذي كان ضمن شعارات التذليل على الفلاف الخلفي للعدد الثاني من المجلة . ان نض الفكر والحس عند مثقفي وكتاب بلدنا ، ولا ريب ان هيئة تحرير المجلة وكتابها من بينهم - لا ينبع من المدم ولا يسري في الفراغ ، تحسب انه ينبع من خلال الواقع المنقسم المتصارع ، ويسري في خلال هذا الانقسام وذلك الصراع . كذلك فاننا نحسب ان الشيء لا يخرج من اصله لكي يرتد ثانية الى اصله كما كان اول مرة . فما دام الاصدقاء من هيئة تحرير المجلة ومن كتابها هم من بين مثقفي وكتاب بلدنا فان شعارهم لا يعدو ان يكون تحية مجاملة وتودد الى بقية المثقفين والكتاب ، وليس شعارا نابعا من موقف فكري محدد او على اساس الارتباط بين الفكر والحس في بلدنا ، ينبوع الواقع اليومي والتاريخي الفريض والشاسع لشعبنا نفسه ، المنتج الاول والرئيسي لقيم الثقافة والفكر ، او على اساس الارتباط بقضية تطوير ثقافة شعبنا وافكاره واحاسيسه ، الشيء الذي يتم لا عن موضوعية او حياد فكري ، وانما عن رهبة عقلية وخوف من الصراع الفكري الحاد الذي يدور الآن على ارضنا بين كل فكر انساني وتقدمي وبين كل فكر متخلف ومعاد للانسان . فهم اولا اذ يرفضون شعار الحياد الفكري بينما لا يستطيع الواحد منهم ان يكون محايدا فانما هم يعبرون عن رهبتهم من الدخول في الصراع القائم بين الاطراف التي يعلنون حيادهم بينها . والصراع الفكري القائم في الحقيقة لا يدور في حلقات المثقفين وحدهم ، وانما هو يدور على مسرح مجتمعنا كله ومن اجل السيطرة على هذا المسرح الخصب الشاسع ، قد لا يتخذ

يجمعهم تيار فكري واحد نابع من جماع تجاربهم الفردية الاجتماعية المشتركة ونابع من اكتشافهم لاحتياجاتهم الحقيقية واحتياجات وطنهم حتى يستطيعوا ان يكونوا دعامة للمعركة السياسية ، وجنودا حقيقيين في كتيبة صلبة في كل معركة .

طلائع معركة ...

واذا كان أبناء « جيل اليوم » مشغولين بمحاولة احتلال مكان لهم تحت الشمس ، بمجلتهم ومناقشاتهم وما يقدمونه من انتاج ابداعي فعلي وما يمتلئ في رؤوسهم وصدورهم من افكار وامنيات ، فقد شغلنا بعض من اسانفتنا ، من جيل الامس واليسوم ايضا ، بمناقشة دارت ايضا حول قيم مجتمعا ومؤسساته الرسمية . ونحن نقصد تلك المناقشة التي دارت بين الدكتور لويس عوض والاسناذ عبد الرحمن الشرفاوي ، اذا كان لنا ان نسمي ما دار مناقشة . فالدكتور لويس عوض يعرض افكاره عن المجلس الاعلى لرئاسة الفنون والآداب ويعرض انتقاداته وملاحظاته عن هذا المجلس ويعلن ان هذا المجلس لا بد من تغييره ولا بد من اقامة « المجلس القومي للثقافة » على اسس مفايرة وان يقوم باعماله بمناهج مفايرة ، وان يشغل بالمشاكل الكبرى الحقيقية التي تعانيتها ثقافتنا القومية ، مشاكل التراث والعلاقة بين الاجيال وبين الجديد والقديم ، وتشجيع الجديد دون محاولة للسيطرة عليه وكتبته وان لم ننخل عن محاولة توجيهه وضبطه .. الخ . فيقاطعه الاستناذ عبد الرحمن الشرفاوي ويهاجم افكاره وينقد انتقاداته مدافعا عن المجلس الاعلى القائم معلنا ان هذا المجلس قد طبع بضع عشرات من الكتب والرسائل الجامعية . فلا يبالي الدكتور لويس عوض ان يرد على هذه المقاطعة وانما يمضي في سرد مطالبه وانتقاداته وافكاره التي جاءت كلها « بمناسبة » المجلس الاعلى والمجلس القومي .

وما يزال الدكتور لويس عوض يستكمل افكاره ، ولذلك فاننا نرجو ان تعرض لهذا الموضوع الحيوي في الرسالة القادمة التي نرجو ان يحين اوانها مع بداية تحديد شكل المجلس الجديد وتحديد وظائفه .

سامي خشبة

القاهرة

السودان

قضايا وهموم ثقافية !

في السودان مسرح قومي واحد انشأته حكومة الانقلاب العسكري وتم بناؤه في السابع عشر من نوفمبر عام ١٩٥٩ . ومهما كان الراي في الحكم العسكري الذي انتهى بارادة الشعب ، فان انشاء هذا المسرح يظل احدى حسنات ذلك الحكم . ومع ان المسرح هو الفن الوحيد الناجع في علاج الادواء الميمنة التي تنتشر بين سكان قطر تساوي مساحته مليون ميل مربع ، وهو الذي مفروض فيه ان ينمي فينا وجهات النظر المتباينة في حياة اهل العصر الحديث والعتيق ، ويعطينا المثال والانموذج الذي نفصل عليه زينا وذوقنا ووجودنا ، فان هذا المسرح ظل قابعا في عاصمة المليون ميل مربع وحيدا يتيما وحائرا ، وغير مدرك لدوره ووظيفته الخطيرة .

ان حصاد هذا المسرح طيلة هذه السنوات المجاف بضع مسرحيات من تأليف كتاب مجتهدين جعلوا جل همهم معالجة قصص مسرحية (كلاسيكية) تدور حول تاريخ قبائل السودان كمرسحبة (الملك نمر) فارس قبيلة الجعليين ، و (تاجوح) الفتاة الغائنة الجميلة التي دلته ابن عمها و (دمحلقي) ، وهي على نطق قصص العشاق القدامى امثال توبة الخفاجي ومجنون ليلى واضرابهما من مجانيين المشق والغرام . ذكرنا للمثال وحسب هاتين المسرحيتين ، وهما لكاتبين مجتهدين احدهما شيخ يدعى ابراهيم العبادي ، يجتهد في نظم الاغاني ويسهم

الصراع اشكاله الكلامية الحادة الا في حليات المثقفين ولكن هذا الصراع ايضا لن يتخذ شكل الهدنة ولن تجنح اطرافه الى المصالحة الا في حليات المثقفين ايضا . ولكن الشيء الذي يدعو الى الدهشة هنا هو ان من يعرفون شعار المهادنة الفكرية ، ومن يرهون الصراع هم من يفترض انهم المتوردون على القيود القديمة ، هنا في الحقيقة يمكننا ان نكتشف قيمة ذلك التمرد واتجاهه الحقيقي . انه تمرد يرفض القيود القديمة حقا وينظر الى القديم كله .. كله باعتباره قيودا ولكنه تمرد لا يقبل في الوقت نفسه ان يتحمل مسؤوليات جديدة . وهذا الموقف في جوهره ليس موقفا فكريا لان اصدقاءنا اعضاء هيئة التحرير ومعظم كتاب المجلة يحملون كافراد افكارهم ووجهات نظرهم التي يكتبونها فعلا وتتبدى من خلال اعمالهم . ولكنهم حين يفكرون فيهم أنفسهم كجماعة يرفضون ان يكونوا جماعة منتمية حتى لا يتهمهم الناس بالانفلاق واضعين الانتماء بهذا الشكل في مواجهة التفتح وهم بهذا لا يثيرون الشكوك الا في نوع انتمائهم لان الانتماء الذي يتناقض مع التفتح هو انتماء دوجماطيقي ومنعصب وضيق الافق .

ومن ناحية اخرى فان ذلك الموقف هو في جوهره ايضا موقف اجتماعي او هو موقف يعكس موقفا اجتماعيا لان هؤلاء الاصدقاء فيهم معظمهم مثقفون متباعدون عن حركة الواقع الاجتماعي الحية والحقيقية يحصلون على معلوماتهم من وسائل الاعلام اليومية ولا تتحول هذه المعلومات الى ادراك كلي للواقع الذي يعيشون على اطرافه والذي يوجب عليهم ان يحددوا انتماءهم بين قواه سواء نصارعت هذه القوى وكان انصراف هو قانون علاقتها والظاهرة السائدة فيه ، او تصارعت تلك القوى وكان التحالف هو حكم علاقتها وقانونه ، ثم ان يملأوا هذا الانتماء ويصارعوا من فوق ارضه المحددة . ونحن ايضا لا نقصد انتماء فكريا في الاساس وانما نقصد انتماءهم الاجتماعي ، ولا نقصد ان يترك هؤلاء الاصدقاء اعمالهم العادية او مقاعدتهم على المقاهي حتى يصبحوا جزءا واضحا من الحركة الاجتماعية وحتى يحددوا لانفسهم مكانا واضحا من حركة هذه القوى واستقطاباتها ، فانهم شاؤوا او ابوا ، جزء من هذه الحركة وصدى من اصداؤها . ولكننا نقصد ان يحاولوا تحقيق الوعي الشامل بتلك الحركة الاجتماعية وان يعوا موقفهم ومكانهم من هذه الحركة ومن القوى المكونة لها والشبكة فيها . ان رهبة الصراع لن تعفيهم من مقبة الصراع نفسه ، كما ان الحياد الفكري كجماعة - هذا الحياد الوهمي في الحقيقة - لن يعفيهم من انتماءاتهم الاجتماعية والفكرية كافراد . وبذلك يمكنهم ان يحددوا ما يقصدونه بصارات من نوع جيل اليوم لانهم سيتمكنون من تحديد ملامح هذا الجيل والتزاماته من خلال اكتشافهم لما يميز الواقع الاجتماعي بكل الاجيال التي تعيش فيه من صراعات وتناقضات . سيتمكنون حقا من وضع لبنة في صرح الوطن لان الوطن يحتاج الى وعي علمي وادراك شامل لما يوضع في بنائه من لبنات ولن يشترك في وضعها . وسوف يحصلون على تحديدهم الحسي من خلال تحديدهم لمكانهم من الصراع الاجتماعي والفكري الدائر في بلادنا ، ومن خلال اكتشافهم لوهمية أي نوع من الحياد في ذلك الصراع . وبالتالي سيتمكنون من التخلص من تلك الميوعة الفكرية التي يظنونها رحابة وتفتحنا بينما هي في الحقيقة ليست اكثر من استسلام ضعيف لعفوية كل ما يقرره الواقع من تيارات جماعية او ظواهر فردية .

وفي النهاية فليس هناك ختام افضل من العودة الى ما قرره حسن سليمان في تأملاته في العدد الاول من « مجلة ٦٨ » ، رغم ما قد نخلف حوله فيما سنقتبسه منه . يقول : « اذا جمع كسل الفنانين والكتاب والموسيقيين تيار فكري موحد وحاجة ملححة واحدة . واذا اصروا مجتمعين على تثبيت هذا التيار . ذلك هو التجارب الطبيعي للنظوع . النتيجة ان هذه المدرسة الفنية ستجد طريقها للنور باسرع مما يتصور احد بل ستكون دعامة للمعركة السياسية » .

ونحن نرجو لهؤلاء الاصدقاء الكتاب والفنانين والموسيقيين ان

في دعم المسرح وفي ذهنه - بحكم السن - المحافظة على قيم (كلاسيكية تخلفية) غنيقة تواضع المجتمع السوداني على تقدسها والتبسط على هياكلها البالية . اما قصة (الحب) الثانية فان مؤلفها ايضا شيخ مجتهد يعنى كثيرا بالقضايا التاريخية . وما قصدنا بتقديم هذا المثال الا لكي نعطي فكرة عابرة عن نظرة مؤلفي المسرح الحياة في السودان .

صحيح ان مسرحية (الملك نمر) مسرحية لا بأس بها من حيث المضمون ، فهي حافز البطولة والرجولة والبطش والضراوة ولكن حصاد المسرح بصورة عامة يعتبر هابطا لخلوه من اية مسرحية من المسرحيات المثيرة التي تشكك في القيم الراهنة الممارسة ، او فسي استثناء الفساد والرشوة والمحسوبية ، واستهتار السلطات الحاكمة باشياء مصيرية قد يدخل في صميمها (التجسس) وكل عيوب الانتهازية وانعدام الوطنية وضبابية المصير .

نعم علينا بهبوط المسرح وانخفاض مستواه خلوه من التشكيك في مثل هذه المفاهيم الضارة التي اوضحت مع الايسام واستمرارية التعود لا تثير احدا ولا تستوقفه .

ان قضية المسرح السوداني في الوقت الراهن ، وهو ما يزال مسرحا غضا صغيرا ليس في الحجم ، بل فسي المستوى والمنهج والمضمون - ان قضيته ليست منحصرة في اكتشاف الخط الذي ينبغي ان يفصل بين الفن الرديء والمتوسط وبين الفن الجيد العظيم . فقد درجت الجمهورية العربية المتحدة ، وهي شقيقة كبرى ولا داعي لشكرها ، على ان ترسل فرقها الفنية باستمرار لمسرح السودان القومي ، ويقيني ان هذه البعثات اخذت توحى للمسؤولين فسي السودان باهمية رسالة المسرح ، وهي خطوة لا يمكن ان نفرط فيها . ففي اول ابريل الماضي من هذا العام زارت السودان فرقة المسرح الكوميدي وعرضت على المسرح القومي السوداني مسرحية (سفاح رغم انفه) ثم اعقبها في شهر مايو الماضي مباشرة فرقة المسرح القومي وبدأت في عرض انتاجها من يوم ٢١ مايو ١٩٦٨ بام درمان فقدمت مسرحية (سكة السلامة) وهي من تأليف الاستاذ سعد الدين وهبه ، اعقبها بمسرحية (عيلة الدوغري) لعثمان عاشور ، ثم (حلاق بغداد) للفريد فرج ، وقد عقد هؤلاء الاخوة مؤتمرا صحفيا بمكاتب وزارة الاعلام والشئون الاجتماعية ، تحدث فيه كل من : سعد الدين وهبه ، والفريد فرج ، وامال المرصفي مدير الفرقة ، عن اهمية رسالة المسرح ، وضرورة تعميمه في الريف والقرى واتساع دائرة اختصاصاته مدعما بوسائل التثقيف المختلفة .

لقد كان الاخوة الثلاثة يتحدثون عن الوضع في الجمهورية العربية ، وعن مركزية الثقافة سابقا في القاهرة ، وكانهم يتحدثون بلباقة عن وضعية الوطن السوداني ، وعن تكديس هذه الاجهزة الثقافية في مدينة الخرطوم وحدها .

صحيح ان الوضع كان في الجمهورية العربية ، قبل ثورة ٢٣ يوليو شبيها بالوضع في السودان حاليا ، اذ كانت القاهرة وحدها هي التي تحظى بكل شيء ، مع خلو الريف المصري والمدن الصغيرة من اي مظهر ثقافي فكري ، على الرغم من ان الريف وحده هو المصدر الحقيقي للطاقات الانسانية الفتية والملكات الفنية ، وكل ما يمكن ان يخلق من الامة قوة وحيوية .

اما اليوم فان وحدات مجهزة باللات السينما المتجولة والمسرح تجوب انحاء الجمهورية العربية فتتشر الوعي والثقافة بين المواطنين في كل المدن والقرى والارياف .

والقضية التي تواجهنا الان قضية واضحة ، وقد انتهى الشعب السوداني من معركة الانتخابات ، ودفع الى مناصب السلطة والبرلمان بخيرة ابنائه ، وها هي ذي حكومة جديدة ذات اتجاهات وطنية قومية عربية واضحة تتسلم زمام الحكم . ولذلك نريد منذ اللحظة الراهنة ان تبدأ هذه الحكومة وان تبدأ معها في طرح المشاكل ومناقشتها . لان المشكلات الجادة الحقيقية لا تبدأ ولا تقوم الا بعد ان تجد من يشرح

في اصلاحها فعلا . فنحن لا نريد ان نعيش في اكبر رقعة من الارض ، لا نتمس اهلها لمسة التطور والتنوعية والتثقيف ، نقول ذلك ورغبة عميقة نحدونا لدفع التقدم بكل ما لدينا من امكانات ، على ان لا تنكس كل هذه الامكانات في مدينة الخرطوم كما هو حادث الان : الاذاعة بما تبثه من فح وضلل وغير جاد لا تصل بوضوح الى جميع ارجاء القطر ، والتلفزيون محصور ببرامجه في مدينة الخرطوم لا غير ، والصحف وكتابها وكل ما يثار على صفحاتها هو من مشكلات الخرطوم، ورحلات الحكام وتحركاتهم وحسب وبالاختصار فان كل ما كانت تعانيه الجمهورية العربية قبل نهضتها العظيمة الراهنة هو معانانا الان .

لقد قال الاستاذ الفريد فرج في ندوة بمنزل الاستاذ عبد الله حامد الامين ، ان احد الخبراء الروس قد اكتشف لهم في ريف مصر عازفا للربابة يدعى (مثقال) ، عازف ربابة فقط ، ولكن اهتمت الدولة بهذا العازف العظيم ، واعتمدت له معاشا شهريا قدره مائة وخمسون جنيها على ان تكون مهمته وحسب تدريس بضعة شبان جامعيين العزف على الربابة ، باعتبار ان هذه الظاهرة الشعبية (الفلكلورية) مسن المحتمل جدا انقراضها ان اهلتم . ولذلك لا بد من حمايتها وتطويرها . وفي السودان الذي يبلغ طوله وعرضه مائة مليون ميل مربع ، وبما فيه من قبائل متعددة الخصائص والعادات ، لم تقم اية حكومة من الحكومات التي تعاقبت عليه بالتفكير ، مجرد التفكير في امر كهذا . اننا لا نريد ان تكلف الدولة بالاستحليل ، ولكن مجرد التفكير وتحديد نقاط البداية في مجالات الاصلاح تطمئننا وترضينا ، بشرط ان نحرص على ان يكون الاصلاح علميا ومدروسا وشاملا لكل الجوانب، غير مفغل لجانب منها ، علينا ان نسمى بكل جهدنا شعبا وحكومة لتطوير هذا البلد الفني الكبير ، وان ندخل التخطيط في حياتنا العقلية ، عوض ان نسير هكذا مصوبوني العميون .

اذن فلتبدأ الحكومة منذ الان في تعميم رسالة المسرح في مديريات السودان التسع . ولكن اولا في عواصم هذه المديريات ومن ثم تتدرج شيئا فشيئا الى المراكز وبقية القرى الصغيرة . ويقيني ان سداجة هذا الشعب وبساطته سوف تيسران لها الامر تماما في كيفية تقبل التوعية والتثقيف ، ولتدعم هذه النهضة المسرحية التربوية الشاملة، كخطوة اولى بحملة لمحو الامية ، لان احصائيات الحكومة الرسمية تثبت ان مشكلة الامية وعدد الذين لا يفقهون مجرد كتابة اسمائهم تبلغ التسعين في المائة ، وهذه وضعية مؤسفة وخطيرة لا بد من شجبها قبل كل شيء .

وهكذا لا نستطيع - كما قلنا قبل سطور - ان نتحدث عن تمييز الخط الفاصل في فنون المسرح بين الجيد والرديء وامامنا هذه الكارثة الجليلة من قضية (الامية) . كما اننا لا نستطيع ان نتحدث عن الادب او عن تطويره في الريف . ومع ذلك فان هذا لا يمنع ان نقول ان للريف على علاته ادبه وفنونه واغنيته ، وله مظاهره الفكرية والفنية ، وله حكاياته واساطيره ، واعماله البسيطة التي تلام ذوقه وحياته . غير ان هذه الفنون البسيطة هي الثروة الاصلية الحقيقية التي يمكن تنميتها وحفظها وتطويرها وتهذيبها ، بعد شجب الامية عن الريفيين وحمايتهم ورفع مستواهم .

اننا نريد ان نخاطب حكومة السودان الراهنة لان املنا فيها كبير جدا ولانها جاءت ممثلة لرغبة الشعب السوداني وممثلة لاماله واتجاهاته وتحقيق امنياته مع اشقائه العرب . لذلك سنناقشها وننقدنا ونطلب منها الممكن لا المستحيل ، فليس هناك كمال على الاطلاق ، ولا بد من ان نبعد كلمة الكمال هذه عن اذهاننا كلما نقدها ، او طالبناها بالتطوير والشورى والتقدم ، وانقن ان اية كلمة نكتبها في هذه الزاوية من (الادب) الفراء مراقبين ، او دارسين ، او ملاحظين لاجسه النقص الفكري والادبي والثقافي في شتى الالوان الانسانية ليست سوى مجرد رغبة في دفع التقدم عن طريق الابانة والتوضيح .

حسب الله الحاج يوسف

الخرطوم